المجلد04/ العـدد:01(2023)، ص 50-60

مجلة بحوث و دراسات في الميديا الجديدة

ISSN: 2773-336X
EISSN: 2800-1613

علوم الإعلام والاتصال بين الإنتماء الابستيمولوجي والتّأصيل البراديغمي

محرز آمال [1]، واضح نوال [2]

[1] مخبر بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، جامعة المسيلة، الجزائر amel.mahrez@univ-msila.dz

[2] مخبر بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، جامعة المسيلة، الجزائر newel.ouadah@univ-msila.dz

Media and communication sciences: Between epistemological affiliation and paradigmatic rooting

Ouadah Newel 2, Mahrez Amel 1

تاريخ الاستلام: 2021/11/16 تاريخ القبول: 2023/03/20 تاريخ النشر: 2023/03/30

ملخص:

تناقش هذه الورقة البحثية إشكالية الإنتماء الهويّاتي الابستيمولوجي لعلوم الإعلام والاتصال في ظلّ التّداخلات والتّشعّبات التي يعرفها هذا العلم مع مختلف الفروع العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية؛ أين حاولنا حصر نطاقات تلك التّداخلات من حيث الخلفية المعرفية فضلا عن التّركيز على زوايا التّأصيل والتّأسيس لاستقلالية التّنظير الراديغمي لهذا العلم عن طريق تقديم أبرز البراديغمات المعتمدة في هذا المجال العلمي.

الكلمات المفتاحية: علوم الإعلام والاتصال، الابستيمولوجيا، الهوية الابستيمولوجية، البراديغم، التّأصيل البراديغمي.

Abstract:

This paper attempts to discuss the problem of epistemological identity affiliation to media and communication sciences in light of the overlaps and ramifications which exist in the above-mentioned science, with the various scientific branches of humanities and social sciences. In this regard, the researchers tried to limit the ranges of these overlaps in terms of cognitive background, as well as focusing on the angles of rooting and establishing the independence of the radical theorizing of this science by presenting the most prominent paradigms adopted in this scientific field.

Keywords: media and communication sciences, epistemology, epistemological identity, paradigm, paradigmatic rooting.

المؤلف المرسل : محرز آمال ، الايميل : amel.mahrez@univ-msila.dz

مقدمة:

تتأسّس العلوم مهما- كانت مجالات اهتماماتها وبحوثها- على أسس مرجعية تتقولب بشكل عام في؛ موضوع، منهج ونظريّات، ولأنّ وظيفة العلوم تتلخّص في العمل على معالجة الظّواهر والمشكلات البحثية التي تُثير تساؤلات الباحثين واهتماماتهم فإنّ ما قد يرتكز عليه الباحث من منطلقات ومراحل وأدوات بحثية وما يتوصّل إليه من نتائج يُفترض في الغالب أن تكون هي ذاتها محلّ دراسة ومعالجة إبستيمولوجية قصد الخروج في النّهاية بتحصيل نموذجي للمعرفة العلمية الصّحيحة أو ما يسمّى بالبراديغم الذي تبرز أهمّيته كإطار موجّه ومنظّم لمسار الباحث.

والحركة العلمية الابستيمولوجية عريقة عراقة الممارسات الفكرية النّقدية الإنسانية اين كانت تخضع في بداياتها للمعالجة العقلانية المنطقية باستخدام ملكات العقل والتّفكير والمنطقي، وقد شملت تلك المعالجات مختلف العلوم على اختلاف مشاربها واهتماماتها وأهدافها.

ولمّا كانت الممارسات الاتصالية هي الفاعل والمساهم في شتّى الظّواهر التي تحظى بالاهتمامات البحثية فإنّ الظّواهر الاتصالية هي الأخرى ومنذ أن وضع أرسطو نموذجيه الاتصالي وهي محطّ نقاشات ودراسات نقدية ابستيمولوجية، ومن هنا فالتّأصيل الابستيمولوجي للدّراسات الاتصالية قديم من حيث الممارسات وله من الخصوصيّة البارزة من حيث أنّ الدّراس للظّواهر في حقل الإعلام والاتصال يقف بصورة مبدئيّة على سلسلة التّشعّبات والتّداخلات التي يشهدها هذا المجال مع العديد من الفروع العلمية الإنسانية والاجتماعية؛ فالظّاهرة الإعلامية الاتصالية كانت موضوع دراسات العديد من التّخصّصات والمدارس العلمية؛ كالسّياسة والتّاريخ والاجتماع وعلم والنّفس... وهو الأمر الذي جعل علوم الإعلام والاتصال بعيدة نسبيّا عن تحقيق الاستقلالية الابتستيمولوجية لها كعلم قائم بذاته فقد كانت محلّ اهتمامات العديد من الباحثين على اختلاف انتماءاتهم وتوجّهاتهم الأيديولوجية، بما نتج عنه ظهور تراكمات جزيلة في مسألة التّنظير لكيفية التّعامل مع الظّاهرة الإعلامية والاتصالية والتّأسيس لها.

وعليه فإنّ كلّ هذه الاعتبارات تجعلنا نطرح تساؤلات حول علاقة علوم الاعلام والاتصال بالعلوم الأخرى وعن الكيفية التي يتمّ من خلالها توظيف كل من الابستيمولوجيا والبراديغم في حقل علوم الإعلام والاتصال؟ وما هي الإضافات والتّطوّرات التي تقدّمها الدّراسات الابستيولوجية لحقل علوم الإعلام والاتصال؟ وما هي أبرز النّماذج والبراديغمات المعتمدة في الدّراسات الإعلامي؟

I. مدخل إلى الابستيمولوجيا:

1. في تعريف الابستيمولوجيا:

أ. الإبستيمولوجيا لغـة:

إنّ كلمة إبستيمولوجيا Epistémologie كلمة يونانية تتألّف من شطرين: Epistème تعني المعرفة العلمية وLogos التي تعني العلم، وبالتّالي فإنّ كلمة إبستيمولوجيا تعني علم المعرفة، أو نظرية المعرفة، وتعني كذلك فلسفة العلوم (قاسم، المدخل إلى فلسفة العلوم، 2008).

وهناك من يترجمها على شاكلة أنّ Epistème تعني معرفة، و Logos تعني نظرية أي نظرية المعرفة أو فلسفة العلوم (سعد ح.، 2014) .

ب. الابستيمولوجـيا اصطلاحـا:

يشهد مفهوم الابستيمولوجيا من النّاحية الاصطلاحية تداولية واسعة في أوساط الباحثين والفلاسفة بحثا ونقاشا؛ فكلّ يعرّفه وفقا لتوجّهاته ومركزاته الأيديولوجية، ويتأسّس إشكال التّباين والاختلاف في مسألة التّعريفات الاصطلاحية المقدّمة لهذا المفهوم من حيث صعوبة الجزم في التّشابكات والصّلات بينه وبين بعض المفاهيم التي يلتقي معها هذا المفهوم في عناصر الاهتمام البحثي، ومن بين تلك المفاهيم نجد: مفهوم الميتولوجيا (Science des méthodologies)*علم المناهج*أو الكريتيبيولوجيا (Science des critériologie)*علم المعايير*، إلاّ أنّه يمكن الأخذ ببعض التّعريفات التي نرى فيها إلماما بماهية المفهوم، ونوجز منها الآتي:

عـرّفها لالاند قائلا: (...إنّها في جوهرها الدّراسة النّقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج مختلف العلوم الهادفة إلى تحديد أصلها المنطقي*لا النّفسي* قيمتها ومدى موضوعيّتها(lande, 1986) .

ومن خلال تعريفه هذا يوضّح لالاند ماهية الابستيمولوجيا من زاوية البحث في الأسس التي تنبني عليها العلوم على اختلافها وتنوّعها، فضلا عن فحص وتمحيص الفرضيات والنّتائج ودراسة مدى تماسكها وإبراز مواطن الخلل فيها.

من جهة أخرى يرى بول موري أنّ الابستيمولوجيا هي النّقد العلمي للمعرفة...، ومهمّتها دراسة المنهج العام للعلوم والعمليات التي يطبّقها العقل البشري على العلوم (موري، 1973).

يضفي بول موري في تعريفه الطّابع الفلسفي لماهية الإبستيمولوجيا من خلال تركيزه على دور العقل البشري بملكاته ومقوّماته التّحليلية النّقدية، وما يمارسه من عمليات فكرية على مختلف المعارف، وهو المعنى الأقرب للتّعريف الذي نرى أنّه الأكثر إلماما بهذا المفهوم، والذي سنوضّحه في الآتي:

يرى قاسم محمّد أنّ الإبستيمولوجيا: هي دراسة نقدية واعية لطبيعة ومناهج العلم وتصوّراته ومبادئه فتتناول بالفحص والتّدقيق والمبادئ والأسس والبناء المنطقي لأيّ نسق علمي باستعمال الاستقراء والاستنباط والتّحقيق (قاسم، المدخل إلى فلسفة العلوم، ، 2008).

يشير التّعريف المقدّم من طرف الباحث قاسم محمّد إلى الجانب الفلسفي في الابستيمولوجيا كونها دراسة نقدية ترتكز على المقدرات والملكات الإدراكية المنطقية للعقل البشري والتي تبرز في عمليات الاستقراء والاستنباط وتستهدف الوصول إلى معارف لا تتناقض والمنطق.

جاء في المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام لصاحبته مي العبد الله أنّ الإبستيولوجيا هي الدّراسة النّقدية لمبادئ العلوم وفرضيّاتها ونتائجها بغية تحديد بعدها المنطقي وقيمتها ومداها الموضوعي.

وورد في المعجم ذاته أنّه من المعقول أن يتمّ ترجمة المصطلح بعبارة نقد العلوم، باعتبار أنّ النّقد إيضاحا تقويميا يصدر حكما في أمر بما له وما عليه، لكن من الأفضل الحفاظ في اللّغة العربية على اللّفظة بصيغتها الأجنبية بوجه الإطلاق: الابستيمولوجيا نقد للعلم أكثر منها علم للعلم، فالتّعريف الأخير ينزع عنها صفتها الفلسفية، وكذلك فإنّ نظرية العلم تبدو كما هي عليه فعلا رؤية فلسفية وليس نظرية فحسب للعلم (مي ا.، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام، 2014).

2. الابستيمولوجيا والعلـــم:

يرتبط ظهور مصطلح الإبستيمولوجيا بتاريخ الحركة العلمية خاصّة خلال القرنين الثّامن والتّاسع عشر، ولئن كان المصطلح جديدا فإنّ الحركة العلمية والممارسات النّقدية الفلسفية المنطقية على العلم قديمة قدم الفكر اليوناني؛ فأوّل من تعرّض لها كان الفيلسوف اليوناني بارمينديس من خلال مقولته "أنّ هناك وجودا يتعدّى كلّ ما

تعرفه التّجربة العادية"، ليتطوّر الأمر تدريجيا مع سقراط وأفلاطون خاصّة من خلال مؤلّف هذا الأخير الموسوم بـ "محاورة ثياتينوس" التي شغلت المعرفة وتعريفها حيّزا واسعا منها (صلاح، 2007)،

بعدها تتوالى تطوّرات المسار العلمي في هذا الشّأن إلى أن ظهر مؤلّف الفيلسوف الإنجليزي جون لوك سنة 1690 والموسوم بـ: (مبحث في الفهم الإنساني) الذي تناول بإسهاب موضوع الابستيمولوجيا في حيّز كبير (مصطفى ا.، 2001)، وبعد أن تراكم نتاج الحركة النّقدية للعلوم التي تناولت طبيعة القوانين ونظريات الفيزياء وقوانين الرّياضيات عندها اجتمعت الكفاءة العلمية مع التّفكير الفلسفي وجدت الابستيمولوجيا نفسها قد تكوّنت بوصفها مبحثا أصيلا،

وقد أكّد بوبر من جهته أنّ مشكلات الابستيمولوجيا مرتبطة بمشكلة نموّ المعرفة، لذلك وجب التّركيز على تتبّع حركات نموّ هذه المعرفة ودراستها، فالمعرفة ليس لها حدود نهائية لأنّ العلم قائم على تصحيح العلم؛ لأنّه وكما يرى باشلار يجب النّظر إلى المعرفة من زاوية تطويرها في الزّمان كتكوين من ناحية، وباعتبارها لم ولن تكتمل من ناحية أخرى وهو ما أسماه باشلار الفلسفة المفتوحة (مي ا.، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام، 2014)

3. **المعرفة والمدارس الابستيمولوجية:**

تعرّف المعرفة على أنّها امتزاج بين المعلومات والخبرة والمدركات الحسّية، فيتلقّى الفرد المعلومات ويمثّلها في عقله، ويستخدم الاستنباط لاستخلاص معرفة ضمنية كامنة، والاستقراء لإنتاج معرفة جديدة (مصطفى ع.)

ولقد كانت محصّلة الاهتمام بدراسة المعارف وتطوّرها ظهور مدارس إبستيمولوجية عديدة تباينت السّياقات والمنظورات والمرتكزات التي اهتمّت من خلالها كلّ مدرسة في التّأسيس لوجهة نظرها في دراستها النّقدية للمعارف، ومن بين أبرز المدارس نذكر ما يلي:

- **المدرسة التّجريبية:** يعتبر "دافيد هيوم" من أبرز مؤسّسيها، ترى هذه المدرسة أنّ المعرفة تكتسب عن طريق الممارسة والتّجريب، والدّليل يكون مقبولا إذا ما اعتمد على معطيات إمبريقية قابلة للملاحظة عن طريق الحواس الإنسانية، وهي تتبنّى في دراساتها الابستيمولوجية أسلوبي الاستقراء والاستدلال.
- **المدرسة الوضعية:** أبرز روّادها أوغست كونت تتأسّس إبستيمولوجيّته على الأسلوب الاستنباطي، وهي مدرسة تطبيق الملاحظة المنهجية المنتظمة، والنّظرية المحدّدة للوقائع القابلة للدّرس، فملاحظة الظّواهر تجعل استخراج القوانين التي تحكم العالم، وتسمح بتقدّمه الاجتماعي أمرا ممكنا.
- **المدرسة التّطوّرية:** أسّسها تشارلز داروين، وهو يفسّر التّطوّر البيولوجي عن طريق ما أسماه بالانتخاب الطّبيعي، وبناء على أسس التّطوّر الثّقافي والاجتماعي، وهي تقوم على استنباط المعرفة من المقارنة بين مراحل تطوّر مختلف الحضارات ومن ثمّ يمكن استنتاج قوانين التّحوّل.

إنّ هذه المدارس قدّمت ثلاث مقاربات منهجية ونظرية في تفسير المعارف وتطوّرها، فضلا عن أنّها زوّدت الباحثين ببراديغمات ونظريات علمية مرجعية موجّهة للبحث العلمي، والتي ستناولها في العنصر الخاص بالبراديغم (سرّاي، البراديغم في علوم الإعلام والاتصال بين الضّرورة الاجرائ المنهجية والصّعوبات البحثية الإجرائية، 2018) .

4. **مجالات البحث الإبستيمولوجي:** تنقسم مجالات البحث الإبستيمولوجي إلى ما يلي:

أ. البحث في مناهج المعرفة بالتّمييز بين المعارف الحسّية ومكوّناتها، والمعارف التّجريبية ومناهجها، والواقعيّة وأسسها (ديديه، 1992).

ب. البحث في طبيعة المعارف وأنواعها، ومصادرها وحدودها، فهي التي تحدّد وتضبط ما يلي:

- مفهوم المعارف: أي ما المعرفة وما الذي يمكن معرفته، وكيف يتمّ معرفته.

- مجالات المعارف وأنواعها: معرفة حسّية، دينية، أخلاقية...
- مصادر المعارف: المصر العقلي، التجريبي، والوجداني.

ت. تصنيف العلوم في فئات أو درجات انطلاقا من اعتبارات تتعلّق بالمنهج المستخدم والموضوع المبحوث فيه (جميل، 2002).

II. ابستيمولوجيا علوم الإعلام والاتصال:

تتيح الابستيمولوجيا للدّارسين إمكانية تتبّع وحصر جملة الجهود والإضافات والتّحوّلات البحثية المتعلّقة بكلّ تخصّص علميّ وتحديد طبيعة العلاقات والصّلات بينه وبين مختلف العلوم والتّخصّصات؛ فعلوم الإعلام والاتصال كانت وليدة سلسلة من التّراكمات لأعمال ومقاربات نفسيّة، اجتماعية، اثنوغرافية، أنتروبولوجية..، وعلى الرّغم من تباين منطلقات وتوجّهات هذه المقاربات إلاّ أنّ محورها المشترك كان الوسيلة، فالبحوث المؤسّسة لعلوم الإعلام والاتصال كان محور اهتماماتها وتركيزها الوسيلة الإعلامية بداية من الإذاعة والتّلفاز وصولا إلى الوسائل الرّقمية والميديا الجديدة (فريدة، 2019).

وعليه فإنّ هذه الاعتبارات الموضوعية جعلت من حقل الإعلام والاتصال في نظر العديد من الباحثين بعيدا عن الاستقلال بحقل علمي خاصّ به أو التّأسيس له فهو لا يزال يسترشد في مناهجه العلمية وبناء تراكماتها المعرفية وتفسير نتائج أبحاثه ودراساته بالبراديغمات التّقليدية للعلوم الإنسانية والاجتماعية في مقدّمتها؛ البراديغم السيبرنطيقي، البراديغم السلوكي، البراديغم الوضعي، والبراديغم التأويلي،

ولمّا كان نقد العلوم هو جوهر وظيفة الابستيمولوجيا وعلّة كينونتها فإنّها تستهدف في هذا السّياق والمجال غاية التّطوير والتّحديث لتلك البراديغمات بدءا باختبار المناهج العلمية المعتمدة في إطارها، يرى الباحث إيبار فوندان في مقال له موسوم ب" علوم الإعلام القطيع الابستيمولوجية وخصوصيّة الموضوع" أنّ الاشكال الابستيمولوجي المطروح على مستوى علوم الإعلام والاتصال مردّه إلى أنّ الباحثين في المجال لم يستوعبوا بعد طبيعة تخصّصهم مقارنة بباحثين ضمن تخصّصات علمية مماثلة،...وعليه كيف يتمّ التّفكير في ايجاد الحلول أو تحديد الأبعاد المعرفية للأطر النّظرية لهذا الموضوع"(fondin, 2001) ، إلاّ أنّ الفرض القائم على خصوصية الظّاهرة الاتصالية باعتبارها ظاهرة انسانية اجتماعية في حدّ ذاتها قد تدحض الطّرح الخاصّ به فالإعلام بخصوصيّه البحثية التي يمكن أن تتأسّس على محور الوسيلة كما كان عليه الوضع في البدايات الأولى للدّراسات الإعلامية إلاّ أنّ تلك الوسيلة إنّما هي بدرجة الأولى تعتبر منصّة ومسرحا لجملة الظّواهر الانسانية الاجتماعية كما أسلفنا.

لكن وفي خضم هذه المسلّمات وإشكالية الانتماءات الأيديولوجية المتشعّبة لعلوم الإعلام والاتصال ضمن التّخصّصات الأخرى فإنّه وانطلاقا من تحليل ابستيمولوجيّ يمكننا الأخذ بفكرة أنّ هذا التّخصّص قد حقّق من تراكمية التّراث العلمي ما خلق في الوقت الحالي قصورا على مستوى الأدوات والمناهج والنّظريّات المعتمدة في البحوث بما يستوجب البديل الذي ستكون محصّلته بشكل طرديّ تحقيق الانتقالية والاستقلالية خاصّة مع ظهور الإعلام الجديد وتطبيقاته المختلفة التي انبثقت في سياقها إشكاليات بحثية جديدة تتعلّق بخصوصية الوسيلة الإعلامية من جهة وبتغيّر إحداثيّات ومسارات العملية الاتصالية في حدّ ذاتها التي أصبحت تشاركية تفاعلية تغيّرت بموجبها قوانين التّحكّم في الوسيلة والمعلومة على حدّ سواء، طرحت تساؤلات عن مدى فاعلية وجدوى البراديغمات التّقليدية في تفسير وتوجيه البحوث في سياقها وفضائها الرّقمي الجديد ومن هنا تكون هذه الحاجة هي المحفّز على التّجديد والتّأسيس للاستقلالية في حدّ ذاتها يقول كروسبي"...لكي نفهم المتغيّرات الكامنة في قوّة الإعلام الجديد يجب أن نتذكّر بأنّ ملايين الحواسيب التي تمثّل شبكة الانترنت تقوم بجمع المعلومات وفرزها ونقلها لعدد كبير وغير محدود

من البشر وهؤلاء يمكنهم إجراء عمليّة اتصال آنيّ ومباشر بينهم في بيئة تسمح لكلّ مشارك سواء كان مرسلا أو مستقبلا بفرص متساوية من درجات التّحكّم... (الدّغمي) ".

وبالعودة للحديث عن التّراكمية الابستيمولوجية في علوم الإعلام والاتصال ففي هذا الإطار تُقسّم النّظريات على أوجه عديدة يبرزها الدّكتور الباحث عزّي عبد الرّحمان:

- نظريات الإعلام كنظم:

تخصّ هذه النّظريات التّنظير الخاص بعلاقة الإعلام بالنّظام السّياسي والاجتماعي، وهي أربع نظريات: السّلطوية، الإشتراكية، اللّيبيرالية، والمسؤولية الاجتماعية، وهناك من يقلّصها إلى نظريّتين أساسيّتين هما السّلطوية واللّيبرالية على اعتبار أنّ الاشتراكية والماركسية امتداد للسّلطوية من جهة، والمسؤولية الاجتماعية امتداد للّيبيرالية من جهة أخرى.

- نظريات الإعلام كتأثير: وهي نظريات متوسّطة المدى؛ أي أنّها تتعامل مع متغيّر أو أكثر، مثل نظرية الرّصاصة، نظرية المجتمع الجماهيري...إلخ.
- نظريات الإعلام كنماذج: وهي النّماذج المصغّرة عن قوالب الاتصال وعناصر العملية الإعلامية مثل: نموذج لازويل ...
- النّظريات الفكرية (الابستيمولوجية): التي تشتغل بعلاقة وسائل الإعلام بالمجتمع مثل: التّفاعلية الرّمزية، والظّاهرية، والنّقدية (عزّي، 2013)..

III. الخلفية الابستيمولوجية لنظريات الإعلام والاتصال -:

تتأسّس الخلفية الابستيمولوجية لدراسات الإعلام والاتصال في إطار التّنظير الفلسفي للنّظم القائم على تحديد وتفسير علاقة الوسائل الإعلامية بالسّلطة والمجتمع.

أ. النظرية السّلطويــة:

تعدّ النّظرية السّلطوية أولى النّظريات الإعلامية، حيث نشأت في أوروبا خلال القرنين السادس والسّابع والسابع، واستمدّت أسس تنظيرها من الفكر السّلطوي الأفلاطوني مرورا بالفكر الحديث مع ميكيافيلي، هيغل وغيرهم.

ويتأسّس الفحوى العام لهذه النّظرية على أنّ الحاكم أو السّلطة الحاكمة هما اللّذان لهما حق الهيمنة على أمور الدّولة بما في ذلك وسائل الإعلام ومضامينها، وذلك بالنّظر إلى أنّ تلك الوسائل ما هي إلاّ لسان حال الدّولة، ووظيفتها الدفاع عن السلطة، ويتمّ احتكار تصاريح وسائل الإعلام، أين تقوم الحكومة على مراقبة ما يتمّ نشره، ويحظر نقد السّلطة الحاكمة وموظّفيها.

ومن جهة أخرى وفي هذا السّياق فإنّنا نرى أنّه من المعقول أنّ التّوجّه السّلطوي للإعلام يمكن إدراج ضمنه التّوجّه الماركسي الاشتراكي الذي يؤسّس لملكية الدّولة لمختلف الوسائل والمؤسّسات داخل الدّولة بما فيها المؤسّسات الإعلامية.

ب. نظرية الحرّيــة:

ظهرت نظرية الحريّة الإعلامية في بريطانيا سنة 1688، لتعرف بعدها انتشارا على مستوى باقي دول أوروبا وأمريكا، وهي تقوم على فكرة أنّ الفرد يجب أن يكون حرّا في نشر ما يعتقد أنّه صحيح عبر وسائل الإعلام دون أن يكون محطّ رقابة أو مصادرة فكرية، ويجب أن يكون للإعلام حيّزا كبيرا من الحرّية كي يوصل الحقيقة للنّاس.

ت. نظرية المسؤولية الاجتماعية:

ظهرت هذه النّظرية عقب الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم هذه النظرية على مبدأ ممارسة العملية الإعلامية الاتصالية بالموازنة بين الحرية من جهة ومراعاة المسؤولية الاجتماعية للإعلام من جهة أخرى، ومن خلال هذه النّظرية ظهرت القواعد والقوانين التي تجعل الرأي العام رقيبا على آداب المهنة، فوفقا لأصحاب هذا التّوجّه فإنّ الحرية تعتبر حقّا وواجبا ومسؤولية في نفس الوقت، ومن هنا يجب أن تقبل وسائل الإعلام والاتصال بالقيام بإلتزامات معيّنة تجاه المجتمع، من خلال التّقيّد بمعايير وأخلاقيات تنظيم المهنة واحترامها (مي ا.، 2014).

IV. البـــراديغـــــم

1. مفهوم البراديغم:

مصطلح البراديغم أُستخدم لأوّل مرّة من قبل الباحث توماس كوهن من خلال مؤلّفه "بداية التصورات العلمية" سنة 1962، قصد توصيف العمليّات الانتقالية التي تطرأ على نماذج نظرية معيّنة في مرحلة زمنيّة محدّدة وتشمل تلك الانتقالات المقدّمات والفرضيّات التي تتأسّس وفقها تلك النّماذج عند مواجهة الباحثين لإشكالات مستعصية يصعب تفسيرها وحلّها بالاستناد إلى ما هو متوافر من خلفيات وتفسيرات تنظيرية ليكون ومن ثمّ فإنّ تجاوز تلك العجز يتطلّب ظهور براديغم جديد (بداني، 2020).

أ/-البراديغم لغـة:

البراديغم هي كلمة يونانية تتركّب من شطرين: **(Para)** التي تفيد الشّمول، و**(digma)** وتعني المثال أو النّموذج، والبراديغم يعني المثال أو النّمط، وهو أسلوب أو طريقة، نوع، طراز، أو صنف.

ورد في معجم أوكسفورد أنّ البراديغم هو: وجهة نظر العالم التي تقوم عليها النّظريات ومنهجية البحث في الميادين العلمية على وجه الخصوص، مثلا إكتشاف الجاذبية الكونية أصبح براديغم العلم النّاجح (سرّاي، البراديغم في علوم الإعلام والاتصال بين الضّرورة المنهجية والصّعوبات البحثية الاجرائية، 2018) .

ب/-البراديغم اصطلاحا: يعرّف البراديغم من النّاحية الاصطلاحية كالتالي:

البراديغم: هو تلك الإنجازات العلمية التي تُقبل في زمن معيّن، وتشكّل أساسا قويّا لطرح المشكلات العلمية ولطرائق حلّها، وهو أيضا مجموعة القيم التي يشترك الباحثون في قبولها والتّمسّك بها، وتتمثّل هذه القيم في المناهج والمعايير التي تتحدّد وفقا له، لأنّ نموذجا علميا موجّها واحدا يكون منطلقا لاكتشافات عديدة (الحريري، التّأويل الابستيمولوجي الأوضعاني بين براديغم توماس كون و برنامج بحث ايمر لاكاتوس، 2016)-

ويعدّ البراديغم أيضا بمثابة المنظور الإرشادي الخاص بنوعية معيّنة من البحوث دون غيرها، والتي تسهّل على الباحثين عملية البحث العلمي في إطار هذا البراديغم كونها تقدّم لها الآليات التي بموجبها يتمّ توجيه البحث، والتّحكّم العلمي به والوصول إلى ضبط النّتائج، كما تخضع هذه البراديغمات على أساس الفكر الإبستيمولوجي إلى مدرستين كبيرتين أحدهما كمّية والأخرى كيفية (هشام)،

وهو كذلك يعني مجموعة القوانين والتّقنيات (النّماذج والنّظريات والأفكار العلمية) والأدوات المرتبطة بنظرية علمية والمسترشدة بها، والتي رافقت ممارسات واتجاهات سلوكية في مرحلة زمنية متعيّنة، وبواسطتها يمارس الباحثون عملهم، ويديرون نشاطهم (الحريري، التّاويل بين براديغم توماس كون وبرنامج بحث ايمر لاكاتوس، 2016)

وللبراديغم خصائص علمية يجب أن تتوافر فيه نذكرها:

- يتضمّن قوانين وتعريفات رمزية، وكلّما كثر عددها كان العلم أكثر قوّة.

- يتضمّن نماذج ميتافيزيقية واعتقادات معيّنة تتيح للباحثين استخدام المفاهيم والمصطلحات الصحيحة والمناسبة لشرح النّظرية العلمية.
- يتضمّن قيما تتعلّق بتراكيب النّظرية العلمية واتساقها وتماسكها الدّاخلي، فضلا عن توافقها مع الواقع.
- يتضمّن نماذج في صور معارف ضمنية يتمّ تحصيلها بالممارسة العلمية الحثيثة.

وللبراديغم أهمّية بالغة من حيث استخدامه في الأعمال البحثية وهذه الأهمّية تعبّر بدرجة أولى عن دوره الوظيفي المنهجي في الدّراسات العلمية حيث أنّه يركّز جهد وانتباه الباحث على مجال من المشكلات الخاصة نسبيا، حيث يُلزم البراديغم العلماء بدرس جانب من جوانب الطبيعة بتفصيل وعمق.

البراديغم يُقدّم الأسئلة والحلول في نفس الوقت، بمعنى أنّ العلماء يشتغلون تحت مظلّته التي تقتضي جعل النّظرية والتجربة في توافق محدّد سلفا (كون، 2007).

2. براديغمات علوم الإعلام والاتصال:

تعود الإرهاصات الأولى لتأسيس البراديغمات النّموذجية في مجال علوم الإعلام والاتصال إلى المدرستين الوضعية والسّلوكية حيث كان اهتمام الباحثين في هذا السّياق بدراسة طبيعة التّأثيرات بين وسائل الإعلام والجمهور المستهدف بالإعتماد على ما يعرف بدراسات الجمهور (سرّاي، البراديغم في علوم الإعلام والاتصال بين الضّرورى المنهجية والصّعوبات الاجرائية، 2018)، وعليه هناك أربع براديغمات المستخدمة في دراسات علوم الإعلام والاتصال، نوجزها في الآتي:

- البراديغم السيبرنطيقي:

منحدر عن النّموذج المنهاجي النّسقي، ويختصّ في مجال علوم الإعلام والاتصال بدراسة عمليات الضّبط والتّوجيه في العملية الاتصالية، ومعاينة مدى ترابط سلسلة شبكاتها وعناصرها، يعود الفضل في وضع أسس السيبرنطيقا إلى عالم الرّياضيات الأمريكي نوربرت وينر من خلال كتابه "السيبرنيطيقا أو التّحكّم والاتصال عند الحيوان والآلة" (رويه، 1971)

. ومن ثمّ تشكّلت وتواترت الإسهامات البحثية في هذا السّياق، وهذا البراديغم يتضمّن نماذج للاتصال دون النّظريات مثل؛ نموذج شانون وويفر 1949.

- البراديغم الوظيفي:

منحدر من الابستيمولوجية الوضعية التي تنظر للمجتمع على أنّه تركيب عضويّ، وكلّ تنظيمي تفسّر مختلف عناصره بالوظيفة التي تؤدّيها، وتشكّل وسائل الإعلام والاتصال أحد أعضائه، وظيفة وسائل الإعلام والاتصال داخل المجتمع ودورها في الحفاظ على استقرار هذا الأخير، حاثّا على أنّ عدم أداء وسائل الإعلام والاتصال للوظيفة المطلوبة بها يؤدّي إلى الخلل الوظيفي.

لذلك تنبني تفسيرات هذا النّموذج لتأثيرات وسائل الإعلام في حدود وسياقات الأدوار والوظائف التي تؤدّيها داخل المجتمع ومدى مساهمتها في الحفاظ على توازن وانسجام نسقه العامّ عن طريق اشباع وتلبية جملة من الحاجيات والدّوافع والرّغبات النّفسية والاجتماعية لمكوّناته المختلفة من أفراد أو نظم وهو يدرس وهو بذلك يركّز على الشّق المتعلّق بالاستخدام والإشباع؛ استخدامات الجمهور لوسائل الإعلام والاتصال والإشباعات التي تترتّب عن ذلك الاستخدام، ومن النّظريات أو المقاربات التي تندرج ضمنه: نظرية الاستخدامات والاشباعات، نظرية ترتيب الأولويّات.

- البراديغم السّلوكي:

منحدر من السيكولوجيا الوضعية، يعتمد على ثنائيّة (مثير/ استجابة)، طُبّق في دراسة وتفسير تأثير وسائل الإعلام والاتصال على الجمهور من زاوية أنّ تلك الوسائل تمثّل*مثيرات*وأنّ ردّة فعل الجمهور أو سلوكه هي*الاستجابة* كدراسة أساليب الدّعاية، الإقناع، السّلطة الخفية، أو القوّة السّاحرة لوسائل الإعلام والاتصال يمثّلها بصورة أوضح (نموذج هارولد لازويل) (سعد ح.، 2014)

- البراديغم التأويلي التّفسيري:

منحدر من المثالية الألمانية، يدرس في مجال الإعلام والاتصال محتوى وجوهر الاتصال بمحاولة تحديد ما لذي يعنيه القائمون بالاتصال بأحاديث أو مقالات، أو ما يقومون به من أشكال تعبيرية، من أبرز النّظريات والمقاربات التي يقدّمها هذا البراديغم (نظرية التّفاعلية الرّمزية، النّظرية الظّهراتية). (حسن، 1992).

خاتمة

إنّه وبعد الطّرح المقدّم أعلاه أين تعرّفنا عن ماهية كلّ من المصطلحين إبستيمولوجيا، والبراديغم، يمكن القول أنّ الإبستيمولوجيا هي الدّراسة النّقدية للعلوم وتحليلها والكشف عن كنه الفلسفة المتضمّنة فيها، وتتبّع مسيرتها بغية التّعرّف على ثغراتها ومحاولة سدّها ومعالجتها مهما كان مكمن تلك الثغرات إمّا في المناهج، أو المبادئ، أو الفرضيات، أو النّتائج، ثمّ الوصول في الأخير إلى نتاج نموذجي للمعرفة واضح وسليم المرتكزات والأسس المنطقية والأهمّية الموضوعية العلمية.

في حين أنّ البراديغم هو النّتاج النّموذجي للمعرفة الصّحيحة التي تولد في شكل تنظير نموذجي، يوجّه الدّراسات العلمية والجهود التّفسيرية في التّخصّص أو المجال الذي بني عليه ذلك النّموذج.

وبالتّالي يمكن القول هنا أنّ العلاقة بين الابستيمولوجيا والبراديغم هي أنّ هذا الأخير يكون بمثابة تحصيل للدّراسات النّقدية الابستيمولوجية، التي تهدف من الفعل النّقدي تقييم وتقويم العلوم والمعارف والوصول إلى نموذجيّتها الصّحيحة القادرة على استيعاب وتفسير مختلف الاشكالات البحثية التي تواجه الباحثين لتتجسّد تلك النّمذجة فيما يسمّى البراديغم.

وفي مجال الإعلام والاتصال لا يزال السّجال الفكري قائما حول التّشعّبات التي يعرفها هذا التّخصّص مع شتّى الفروع الإنسانية والاجتماعية وهو ما يحول – حسب جمهور من الباحثين- دون التّسليم باستقلالية علوم الإعلام والاتصال من حيث المناهج والنّماذج النّظرية، إلاّ أنّه يجب التّأكيد على أنّ تلك التّشعّبات في حدّذاتها قد خلّقت تنوّعا وتراكما فكريّا في هذا الميدان وأضحت له من التّوجّهات والخصوصيّات البحثية ما لا يمكن تجاوزه فقد تخطّت البحوث الإعلامية اليوم مجال البحث في الوسيلة إلى البحث في الرّسالة والمضامين، ثمّ وبعد ظهور ما يعرف بالإعلام الجديد وتطبيقاته المختلفة الذي تشكّلت عبره ظواهر بمتغيّرات ومؤشّرات بحثية جديدة تعجز التّراكمات النّظرية التّقليدية عن استيعابها وهو ما يفتح المجال واسعا للنّقد الابستيمولوجي في هذت الشّأن وبالتالي التّأسيس لبراديغمات إعلامية مستقلّة من حيث المنطلقات والمقدّمات والفرضيّات والنّتائج.

المصادر والمراجع باللغة العربية

- اسماعيل صلاح. (2007). *نظرية المعرفة العلمية*. مصر: دار قباء الحديثة.ص53
- العبد اللّه مي. (2014). *المعجم في المفاهيم الحخديثة للإعلام* (المجلد 1). لبنان: دار النّهضة العربية.ص13-14.
- العبد الله مي. (2014). *المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام*. لبنان: دار النّهضة العربية.15-16
- العبد الله مي. (2014). *المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام* (المجلد 1). لبنان: دار النّهضة العربيةص175-276.
- النّشّار مصطفى. (2001). *نظرية المعرفة عند أرسطو* (المجلد 4). مصر: دار قباء للطّباعة والنّشر.ص35
- بطّاهر هشام. (بلا تاريخ). التّأسيس النّظري لعلوم الإعلام والاتصال انطلاقا من البراديغم السّيبرنيطيقي. صفحة 229.
- بول موري. (1973). *المنطق وفلسفة العلوم، تر: فؤاد زكريا*. مصر: دار النّهضةص.48.
- توماس كون. (2007). *بنية الثّورات العلمية، تر: حيدر حاج إسماعيل* (المجلد 1). بيروت: المنظّمة العربية للتّرجمة.، 136
- جوليا ديديه. (1992). *قاموس الفلسفة تر: فرونسوا أيّوب وآخرون*. لبنان.
- حسن الحريري. (2016). *التّأويل الابستيمولوجي الأوضعاني بين براديغم توماس كون و برنامج بحث ايمر لاكاتوس*. الرّباط: مؤسّسة دراسات وأبحاث مؤمنون بلا حدود، ص4.
- حسن الحريري. (2016). *التّاويل بين براديغم توماس كون وبرنامج بحث ايمر لاكاتوس*. الرباط: مؤسّسة دراسات مؤمنون بلا حدود.ص4.
- حسن سعد. (2014). *براديغمات البحوث الإعلامية الابستيمولوجيا- الاشكاليات. الأطروخات*. بيروت: دار المنهل اللّبناني.185-186.
- حسين سعد. (2014). *براديغمات البحوث الإعلامية: الابستيمولوجيا- الإشكاليات- الاطروحات*. بيروت: دار المنهل اللّبناني14.
- حمدي حسن. (1992). *الاتصال وبحوث التّأثير في دراسات الاتصال الجماهيري*. الرياض86.
- ريمون رويه. (1971). *السيبرنيتيك وأصل الإعلام، تر: عادل العوا*. دمشق.ص54.
- زكريا عصام جميل. (2002). *اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة* (المجلد 1). الأردن: دار المسيرة.11

- سعاد سرّاي. (سبتمبر, 2018). البراديغم في علوم الإعلام والاتصال بين الضّرورة الاجرائ المنهجية والصّعوبات البحثية الإجرائية. *مجلّة علوم الإنسان والمجتمع* (28)، صفحة 398.
- سعاد سرّاي. (سبتمبر, 2018). البراديغم في علوم الإعلام والاتصال بين الضّرورة المنهجية والصّعوبات البحثية الاجرائية. *مجلّة علوم الانسان والمجتمع* (28)، صفحة 395.
- سعاد سرّاي. (سبتمبر, 2018). البراديغم في علوم الإعلام والاتصال بين الضّرورى المنهجية والصّعوبات الاجرائية. *مجلّة الانسان والمجتمع* (28)، الصفحات 401-402.
- عبّاس صغير فريدة. (أفريل, 2019). بحوث الإعلام والاتصال أيّ تموقع ابستيمولوجي في ظلّ الإعلام الجديد؟ *مجلّة التّراث* ، صفحة 64.
- عبد الرّحمان عزّي. (2013). التّنظير الإعلامي القيمي: الفرص والتّحدّيات. *مجلّة العلوم الاجتماعية* (6)، الصفحات 16-18.
- عليان ربحي مصطفى. *إدارة المعارف* (المجلد 1). الأردن: دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع ص55.
- غالب الدّغمي. *الإعلام الجديد اعتمادية متصاعدة ووسائل متجدّدة*. الأردن: دار أمجد للنّشر والتّوزيع، ص66، 67.
- فؤاد بداني. (سبتمبر, 2020). ابستيمولوجيا الظّاهرة الاتصالية والبراديغمات الجديدة. *مجلّة الرّاصد العلمي* (02)، الصفحات 44-45.
- قاسم محمّد قاسم. (2008). *المدخل إلى فلسفة العلوم*. مصر: دار المعرفة الجامعية.43.
- قاسم محمّد قاسم، (2008). *المدخل إلى فلسفة العلوم*، . مصر : دار المعرفة الجامعية.ص43

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

- Huber F .(2001) .La science de linformation: posture épistémologique et spécifitié disciplinaire.112 صفحة ،(2) .
- La lande .(1986) .*Vocabilaire technique et critique de la philosophe* .paris293.